الفصل السادس

نتائج الدراسة

الفصـل السادس

نتائـج الدراسـة

أولاً : النتائـج :

يمكن الخروج - من خلال هذه الدراسة - بعدة نتائج، أبرزها ما يلى :

١- **بالنسبة لمفهوم الاستشراق :** اتفق الجميع - عرب وغربيون - على أن المقصود بالاستشراق هو دراسة الشرق فى شتى جوانبه، سواء أكان الشرق العربى والإسلامى بصفة خاصة، أو الشرق كله بصفة عامة.

٢- **بالنسبة لنشأة الاستشراق بصورة منظمة ورسمية :** تعددت وجهات النظر حول ذلك ولعله من الأرجح إرجاع هذه البداية المنظمة إلى القرن الثانى عشر الميلادى.

٣- **بالنسبة لأهداف الاستشراق :** كان للاستشراق العديد من الأهداف،طبقاً لتطوره ولكنها جميعا نشأت عن هدف أساسى هو الهدف الدينى، وذلك معناه وجود علاقة وثيقة بين الاستشراق والتبشير.

٤- **بالنسبة لوضع الاستشراق الآن :** يلاحظ أن الدراسات الاستشراقية ما زالت مستمرة حتى الآن وستستمر فى المستقبل، وقد طور الاستشراق من نفسه، فانتقل إلى بعض المجالات التى لم يدرسها فى مرحلته التقليدية السابقة.

٥- **بالنسبة لمنهج الاستشراق :** استخدم المستشرقون منهجا مستمدا من المنهج الغربى الأوربى، الخاضع لإطار المركزية الأوربية، ومحاولة تطبيق نفس المقاييس الغربية على الدراسات الإسلامية العربية، ولكن فى نفس الوقت كان لاستخدام هذا المنهج بعض الإنجازات التى أسدت خدمات للفكر العربى الإسلامى.

٦- **بالنسبة لوسائل الاستشراق :** كان للمستشرقين وسائلهم التى استخدموها لنشر آرائهم وأفكارهم، وذلك مثل الدوريات، والنشرات، والمؤتمرات، والجمعيات الخاصة بهم، وعن طريق المؤسسات التعليمية وخاصة التدريس فى الجامعات، وغيرها.

٧- **بالنسبة للعوامل التى ساعدت الاستشراق، على التأثير فى الفكر التربوى :** يلاحظ أنه قد توافرت للمستشرقين مجموعة من العوامل، مكنتهم من بسط تأثيرهم ونفوذهم على بعض المفكرين العرب والمسلمين، وكذا انتقل تأثير الفكر الاستشراقى إلى الفكر التربوى.

٨- **بالنسبة لعلاقة الاستشراق بالاستعمار:** نجد أنه كان للدوائر الاستعمارية دور بارز فى تهيئة الأمر وتقديم المساعدة للمستشرقين فى مصر، بصورة مكنتهم من بسط

سيطرتهم على الفكر التربوى المصرى، كما كان للبعثات التعليمية الدور الأكبر فى تبنى بعض المفكرين المصريين لأفكار المستشرقين الذين تتلمذوا على أيديهم.

٩- **بالنسبة لموقف الاستشراق من اللغة العربية :** فقد قام المستشرقون بهجمة ضد اللغة العربيةالفصحى، فى محاولة للقضاء عليها، أو للحط من شأنها باعتبارها لغة القرآن الذى حفظ الثقافة العربية الإسلامية، بطرق مباشرة، وغير مباشرة وبالتالى تمييع وتضييع ثقافة الأمة وهويتها وشخصيتها. وظهر ذلك من خلال تبنيهم لعدة دعوات مثل : الدعوة إلى العامية، الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية، ووصف العربية الفصحى بالجمود وعدم المواءمة للحضارة الحديثة، أى ضعف كفايتها العلمية، وغيرها من الدعوات التى رددها بعض المفكرين المصريين - متأثرين بذلك الفكر الاستشراقى - مثل سلامة موسى، عبد العزيز فهمى، محمد حسين هيكل، وغيرهم، وكان لذلك انعكاساته على التربية فى مصر فى ذلك الوقت وعلى ثقافة الأمة، نرى ذلك فى ازدواج اللغة وازدواج الثقافة وازدواج التعليم وما إلى ذلك.

١٠- **بالنسبة لمنهج الاستشراق فى دراسة تاريخ الفكر العربى الإسلامى :** فقد قام المستشرقون بدراسة تاريخ الفكر العربى الإسلامى دراسة تقوم على أساس المركزية الأوربية، مستخدمين عدة مناهج مثل : المنهج التاريخى، والتحليلى، والإسقاطى، والتأثر والتأثير، والمطابقة والمماثلة، فحاكموا ذلك الفكر الإسلامى وتاريخه بمقاييس لا تناسبه، ومن هنا جاءت النتائج غير علمية، وشايعهم فى ذلك بعض المفكرين المصريين، مثل طه حسين، سلامة موسى، محمد حسين هيكل، على عبد الرازق، وغيرهم، وكان لتلك الأفكار والمناهج انعكاساتها على التربية فى مصر، بهدف التشكيك فى التاريخ الذى يعكس مقومات الأمة الإسلامية، ويحفظ عليها هذه المقومات، كما هو معلوم من الاطلاع على أهداف تدريس ودراسات التاريخ، بل قد صاغوا واستخلصوا ما يسئ إلى الإسلام والمسلمين.

١١- **بالنسبة لبعض مكتسبات الاستشراق :** فقد كان للاستشراق فيمايتعلق بالفكر الإسلامى بعض المكتسبات التى تحسب له، ولكنه وقع فى بعض السقطات والنواقص التى جعلته يجانب الصواب، **ومن هذه المكتسبات :**

أ- ما بذله بعض المستشرقين من جهود كبيرة، لتحقيق ونشر الكثير من كتب التراث العربى الإسلامى[١]، وخاصة بعض كتب التراث الفلسفى، مع تحليهم

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوى، مرجع سابق، ص ٤٠

بالصدق والدقة فى إخراج ذلك التراث، ومن ذلك ما فعله المستشرق "مونك" فى تحقيقه لكتاب "دلالة الحائرين" لموسى بن ميمون، فقد فقَدَ هذا المستشرق بصره - تماما - من جراء المجهود العنيف الذى قام به فى تحقيق هذا الكتاب[١]، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية على يد "حسين آتاى" الذى أشار فى مقدمة ترجمته إلى أن الأستاذ الدكتور "س٠بنيس" - وهو من المتخصصين فى الفلسفة الإسلامية وفلسفة "موسى بن ميمون" - ذكر له أن "س٠مونك" وإن كان قد نشر دلالة الحائرين بالحروف العبرية عام ١٨٦٦م، إلا أنه روجع بعد ذلك ونشر عام ١٩٢٩م فى تل أبيب، وأن هذه الطبعة صحيحة وجديرة بالاعتماد"[٢].

ب- ما قام به بعضهم من ترجمة لأمهات الكتب والمصادر الإسلامية فى مختلف العلوم إلى اللغات الأوربية، مما أتاح الفرصةللغربيين للاطلاع على التراث الإسلامى، فكان لهذا دور كبير فى فهم بعض مفكرى الغرب لحقيقة الإسلام، مما أدى إلى التحسين النسبى لصورة الإسلام فى فكر ووجدان الغربيين[٣] - خاصة وأن الصورة التى كانت سائدة عندهم تكاد تصل بالعرب والمسلمين إلى البربرية والهمجية وانعدام الحضارة، وأنهم أمم ليست لهم ثقافة - وهذا سهل من مهمة التقريب بين الحضارتين٠

جـ- تحسين بعض جوانب دراسة اللغة العربية بفضل ما استخدمه المستشرقون، فالمناهج الحديثة تتيح بسهولة أكثر تجميع المواد الضرورية لتأليف تلك التصانيف المهمة جدا وهى المعاجم[٤] سواء المعاجم القديمة أو الحديثة؛ بحيث أسهموا فى الترتيب والتبويب والتأليف لتلك المعاجم، ومن هؤلاء المستشرقين : "أوجست فيشر" الذى وضع معجما للعربية القديمة، مرتبا على المصادر، وقضى أربعين سنة فى تنسيقه وترتيبه ومعه بعض المستشرقين الآخرين[٥].

---

(١) عاطف العراقى، مرجع سابق، ص ٩٧ .

(٢) موسى بن ميمون القرطبى الأندلسى، **دلالة الحائرين**، عارضه بأصوله العربية والعبرية وترجم النصوص التى أوردها المؤلف بنصها العبرى إلى العربية وقدم له، حسين آتاى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د٠ت، ص XXXV مقدمة المترجم٠

(٣) أنيس الصولى، مرجع سابق، ص ١٨٨ وما بعدها٠

(٤) مكسيم رودنسون، **الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا**، مرجع سابق، ص ٥٩ .

(٥) نجيب العقيقى، **المستشرقون**، جـ٢، مرجع سابق، ص ٤١٥ .

د- الشجاعة الفكرية التى دفعتهم إلى نشر بعض الكتب والنصوص الفلسفية والجدلية الكلامية التى أسهمت فى انتقاد مذاهبهم ودياناتهم، بل وترجمتها إلى لغاتهم والإشادة بها أحيانا، وذلك مثل : تحقيق "**بلاثيوس**" وترجمته لكتاب "الفصل" لابن حزم، وترجمة "يوشع فنكل" ونشره لرسالة "الجاحظ" "المختار فى الرد على النصارى"، وترجمة "فرنزو" لكتاب أبى حامد الغزالى "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل"، وغيرها من الكتب الأخرى التى أفادت المكتبة العربية والإسلامية[١]، كما أن هذه الشجاعة دفعت ببعض المستشرقين إلى نقد بعض الإنتاج السلبى للفكر الاستشراقى، مثلما كتبه المستشرق "مونتجمرى وات" فى بعض أبحاثه[٢].

هـ- أظهر بعض المستشرقين مثل جرنبوم وجولد تسيهر وبرناردلويس قدرة الإسلام على الهضم والتمثل الثقافى المتنوع، فيقول **جولدتسيهر** :" إن الإسلام قد أكد استعداده وقدرته على امتصاص الآراء وتمثلها، كما أكد قدرته على صهر تلك العناصر الأجنبية، كلا فى بوتقة واحدة، فأصبحت لاتبدو على حقيقتها إلا إذا حُللت تحليلاً دقيقاً، وبحثت بحثاً نقديا دقيقا" (٣). كما يقول **برناردلويس** : "إن الحضارة الإسلامية - رغم تنوع أصولها - لم تكن مجرد جمع آلى للثقافات القديمة، بل هى بالأحرى خلق جديد، انبعثت فيه هذه العناصر لتكون حضارة جديدة، وذلك بأن انتقلت إلى صور عربية إسلامية، وهذه العملية سمة مميزة لكل مرحلة من هذه الحضارة" (٤).

و- وضح بعض المستشرقين أثر العلم الإسلامى فى تطور العلم العالمى، مثل : بارتولد، وهونكه، ونللينو، وجورج سارتون.

ز- أيقظ الاستشراق العقل العربى والإسلامى، وذلك لمحاولة إثبات وجوده، سواء فى رد مفتريات المستشرقين على الإسلام، أو فى محاولة تأسيس أفكار علمية رصينه، بعيداً عن اتجاهات المستشرقين، مثلما كتبه "العقاد" فى الرد عليهم، ومثلما كتبه محمد حسين هيكل وخاصة فى كتابه "حياة محمد"، وغيرهما.

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوى، مرجع سابق، ص ٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ص ٦، ٧ .

(٣) جولد تسيهر، مرجع سابق، ص ١١ .

(٤) برناردلويس، **العرب فى التاريخ**، ترجمة : نبيه أمين فارس، ومحمود يوسف زايد، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٤م، ص ٢٩٢ .

ح- أما أهم ما أضافه الفكر الاستشراقى - وخاصة فى الناحية المنهجية - فيتمثل فيما قاموا به من توجيه "علماء العرب المحدثين إلى تحقيق مخطوطاتهم، وإحياء تراثهم، وتأريخ آدابهم، وحملهم على الاهتمام بمعاجمهم، وتنظيم مباحثهم، والإحاطة بأعلامهم والبحث فى علومهم، وتفهم مكانتهم فى الفكر العالمى "[١]، بل وضع بعضهم كتبا متخصصة فى مجال نشر التراث الإسلامى، أمثال ما وضعه المستشرق "برجشتراسر" فى كتابه "أصول نقد النصوص ونشر الكتب"[٢]، كما قام المستشرق "فنسنك" بإصدار كتابه "مفتاح كنوز السنة" فى مجلد واحد، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى[٣]، كما قام "جول لا بوم" بوضع كتاب فى تفصيل آيات القرآن الحكيم، واستدرك عليه المستشرق "ادوار مونتيه" ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقى[٤]، كما قام المستشرق "آرثر يوحنا آربرى" الذى كان محاضرا بالجامعة المصرية بتحقيق وطبع "كتاب المواقف" و"كتاب المخاطبات" لمحمد بن عبد الجبار بن الحسن النفرى[٥]، كما قام "فنسنك" ومعه مجموعة من المستشرقين بإخراج "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف" الذى شمل كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ونشر فى سبعة مجلدات منذ عام ١٩٣٦م حتى عام ١٩٦٩م[٦]، وعلى نفس النهج ألف محمد فؤاد عبد الباقى "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم".

و- ما تناولوه من معلومات هائلة فى دائرة المعارف الإسلامية، التى كانت ثمرة التعاون العلمى الدولى بين المستشرقين، وصدرت طبعتها الأولى

---

(١) أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، ص ٦٠٦ .

(٢) برجشتراسر، مرجع سابق.

(٣) أ.ى.فنسنك، **مفتاح كنوز السنة**،نقله إلى العربية : محمد فؤاد عبد الباقى، لاهور ، سهيل أكديمى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، ١٩٥٣م.

(٤) جول لابوم، **تفصيل آيات القرآن الحكيم**، نقله إلىالعربية : محمد فؤاد عبد الباقى، السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مطبعة المدنى بمصر. رجب ١٤٠٤هـ/أبريل ١٩٨٤م

(٥) محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفرى، **كتاب المواقف وكتاب المخاطبات**، طبعه للمرة الأولى بعد مقابلة سبع نسخ بعناية وتصحيح واهتمام، آرثر يوحنا آربرى، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٤م.

(٦) انظر : ونسنك ومجموعة من المستشرقين، **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى**، بريل - ليدن، ١٩٣٦م فى سبعة أجزاء حتى سنة ١٩٦٩م.

بالانجليزية والفرنسية والألمانية فى الفترة من ١٩١٣م إلى ١٩٣٨م، ثم ترجمت إلى العربية حتى حرف العين، ثم ظهرت لها طبعة جديدة منذ عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٧٧م، فبدأوا فى ترجمتها من خلال هذه الطبعة الجديدة[١]، ولكن مع التحفظ على منهجهم فى التحليل والتعليل والاستدلال والاستنباط، وتكمن أهمية هذه الدائرة فى كونها مرجعا أساسيا يرجع إليه معظم الباحثين للحصول على ما يريدونه من بيانات تمكنهم من إنجاز بحثهم[٢].

ى- كما تقدمت دراسة علم الآثار وتاريخ الفن وجماليات الفن الإسلامى، وتقدمت تقنيات التنقيب، ومناهج تحليل نتائجها[٣].

١٢- بالنسبة لمزالق الاستشراق فيلاحظ أنه رغم هذه الإنجازات الهامة التى أسهم بها الاستشراق فى مجال الثقافة العربية الإسلامية إلا أنه وقع فى مزالق عديدة قللت من شأنه، من **هذه المزالق :**

أ- محاولة فرض نتائج بحوثه على العقل العربى الإسلامى، دون مراعاة لطبيعة ذلك العقل وحركته، مع اختلاف منطلق كل منهما (العقل العربى الإسلامى والعقل الغربى) حيث سيطر على الاستشراق الفصل والتفريق بين الفكر والواقع، وبين الدين والدنيا، باعتبار أن هذا التصور نابع من القول بثنائية العقيدة والتاريخ، والصراع بينهما، الناشئ عن ثنائية مكونات الفكر الغربى، فى حين يتسم العقل الإسلامى العربى بالجمع والربط بين العقيدة والتاريخ، وبين الدين والدنيا، لأنه تصور مبنى على القول بأحادية النشأة للعقيدة والتاريخ، لزوم التوازن بين المتضادات، كما أشار لذلك **على عزت بيجوفيتش**" رئيس البوسنه والهرسك، حيث ذكر أن الإسلام "لايعرف كتابات لاهوتيه معينة بالمعنى المفهوم فى أوربا بالكلمة، كما أنه لا يعرف كتابات دنيوية مجردة، فكل مفكر إسلامى هو عالم دين، كما أن كل حركة إسلامية صحيحة هى حركة سياسية" ويستشهد بقول "إرنست بلوك" "كل علماء الدين المسلمين كانوا أطباء"[٤].

---

(١) محمود حمدى زقزوق، **الإسلام والغرب**، مرجع سابق، ص ص ٢١، ٢٢ .

(٢) محمد عبد الله الشرقاوى، مرجع سابق، ص ٦ .

(٣) مكسيم رودنسون، **الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا**، مرجع سابق، ص ٥٨ .

(٤) على عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة : محمد يوسف عدس، **سلسلة نافذة على الغرب**، رقم (٢)، الكويت، مجلة النور الكويتية، أو ألمانيا، مؤسسة بافاريا، رجب ١٤١٤هـ/ يناير ١٩٩٤م، ص ٢٨٢، وحول ذلك يمكن مراجعة أيضاً مراد هوفمان، **الإسلام كبديل**، مرجع سابق، ص ١٣٩ .

ب- أن بنية الفكر الاستشراقى تقوم على مبدأ أساسى هو التفرقة بين الشرق والغرب، وعدم التقائهما، فالغربيون عقليون، محبون للسلام، قادرون على اكتساب قيم حقيقية، بخلاف الشرقيين، فهم على العكس من ذلك[١]، وقد أشار المستشرق "مكسيم رودنسون" إلى ذلك بقوله : "يمكننا أن نصنف من بين نواقص تلك الفترة (الفترة الكلاسيكية)، ارتباطها بالأفكار العامة الشائعة فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ونقصد بالأفكار الشائعة هنا : أولوية النموذج الأوربى وتفوقه، ثم وجود نوع من العنصرية غالبا"[٢]، وهذا معناه أن الاستشراق القديم لم يكن محايدا، بل غلبت عليه مناهج تعبر عن بنية الوعى الأوربى التى تكونت عبر حضارته الحديثة، مثل : المناهج التحليلية والتاريخية والإسقاطية والأثر والتأثر[٣].

ولعل هذا ما زال يسيطر حتى الآن لدى بعض المحافل الغربية، السياسية والثقافية والاقتصادية، حيث تلون الأمر بالمتغيرات الحديثة والمعاصرة التى أدت إلى تغيير خريطة العالم، مما جعل البعض يذهب إلى القول بأن المواجهة الحضارية القائمة الآن هى بين الثقافة أو الحضارة الغربية، والإسلام، فيقول **صموئيل هانتيجتون** : "ويدور الصراع على طول حد الهوة الفاصلة بين الحضارتين الغربية والإسلامية منذ ١٣٠٠ عام... ومن غير المرجح أن يتراجع هذا التفاعل العسكرى الدائر منذ قرون بين الغرب والإسلام، وقد يصبح أكثر قسوة .. وينظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه أكثر من صراع بين الحضارات، ويشير الكاتب الإسلامى الهندى "إم جى" إلى أن المواجهة القادمة للغرب تتجه بلا ريب لتأتى من العالم الإسلامى، فمن حركة المد الإسلامى من الغرب حتى باكستان سيبدأ الصراع من أجل نظام عالمى جديد .. فالإسلام تحده حدود دامية"[٤].

---

(١) محمود حمدى زقزوق، **فى مواجهة الاستشراق**، مرجع سابق، ص ص ٣٠، ٣١ .

(٢) مكسيم رودنسون، **الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا**، مرجع سابق، ص ٥٠ .

(٣) حسن حنفى، مقدمة **فى علم الاستغراب**، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٣١ .

(٤) صموئيل بى .هانتيجتون، **الإسلام والغرب - آفاق الصدام**-، ترجمة : مجدى شرشر، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ص ٢٢-٢٦، ٣١ .

ويحلل البعض هذه الرؤية بقوله : "بعبارة أكثر بساطة نقول : إن الإسلام استقر فى أذهان مراقبين كثيرين باعتباره المرشح التالى الأكثر ترجيحا لمعارضة المصالح الغربية فى غالبية أنحاء المعمورة، ويبدو فى نظر بعض المراقبين أن هذا الصراع المتصور بين المصالح الإسلامية والغربية قد بدأ يأخذ طابع المنازعة بين نظامين مختلفين لحضارتين عظيمتين"[١].

جـ- أن الاستشراق لم يطور كثيرا فى أسلوبه عند تناوله للفكر الإسلامى ومنهجه، كما لم يستطع - عند دراسته للإسلام ولفكره وتاريخه ولغته - التخلص من الخلفية الدينية المتعصبة، التى كانت الأساس الأول لنشأته، وظل الوضع - حتى الآن - على ما هو عليه، إلا ما ندر[٢]، فيقول المستشرق "رودنسون" بأن المستشرقين "لم يتخلصوا من تأثير المناهج البالية والأيديولوجيات القديمة بصورها الدوغمائية واللاتاريخية"[٣].

وكان من أثر ذلك فى التحليل المعاصر أن "ثمة عداء من حيث أصول الدين بين الإسلام والغرب"[٤]، بل وأدى إلى أكثر من ذلك وهو وجود الصراع بين الأفكار والحركات القائمة داخل الثقافة الإسلامية ذاتها حتى وإن ادعى البعض أن ذلك موجود فى الثقافة الإسلامية منذ وجدت، وهذا طبيعى، إلا أن الفكر الاستشراقى الذى تأثر به عدد من المصريين المثقفين أدى بشكل أو بآخر إلى تفجير ذلك حديثا، وإضاعة الفرصة على الأمة للتوحد والتقدم، والتصالح والانسجام ما دام هناك فريقان، أو فرق شتى تفكر بطرق مختلفة ومتعددة ولا تلتقى، بالرغم من الجهود التى بذلها البعض من أجل التوفيق الأصيل الصادق مع طبيعة العصر .

د- وجود أزمة فى المناهج التى استخدمها المستشرقون، وهذه الأزمة ترجع إلى خطأين: النعرة العلمية، والنزعة الخطابية، والذى يغلب على مناهجهم هو النعرة العلمية التى سادت معظم دراسات المستشرقين، وتنشأ هذه النعرة العلمية نتيجة استعمال منهج أو طريقة تخالف - تماما - موضوع البحث، لأن هذه الطريقة مادية ترمى إلىدراسة الفكر عن طريق الحوادث التاريخية

---

(١) جراهام إى. فوللر وإيان أو. ليسر، مرجع سابق، ص ١٣ .

(٢) محمود حمدى زقزوق، **الإسلام والغرب**، مرجع سابق، ص ٢٥ .

(٣) مكسيم رودنسون، **الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا**، مرجع سابق، ص ٥٥ .

(٤) جراهام إى فوللر وإيان أو. ليسر: مرجع سابق، ص ١٦ .

أو الوقائع الاجتماعية، أو ترجعه إلى الإبداع الشخصى، أو الأثر الخارجى، وهذا مناقض تماما لطبيعة موضوع البحث، باعتباره ظاهرة نشأت من مصدر قبلى هو الوحى، وهذه النعرة قد ترجع إلى إنكار المستشرقين للوحى الإسلامى، حيث يستحيل عليهم أن يرجعوا الظواهر الفكرية التى يدرسونها إلى أصولها فى الكتاب والسنة عن اعتقاد، بل يرون أن الوحى ذاته نتاج التاريخ، ونتيجة لاتصال المبلغ به بالبيئات اليهودية والنصرانية المعاصرة له، وقد يكون السبب فى تلك النعرة هو تأثر المستشرقين ببيئتهم الأوربية الرافضة لكل مصدر سابق للمعرفة باسم الوحى أو الدين أو الحدس أو المثال، واستبدال ذلك كله بالإيمان المطلق بالعقل البشرى[١].

هـ- العمل على إبراز فكر وآراء الفرق الهدامة والمارقة عن الإسلام كالقاديانية والبهائية، وغيرهما، وتعميق الخلاف بين السنة والشيعة، مدعين أن الخارجين عن تعاليم الإسلام هم أصحاب فكر ثورى تحررى عقلى[٢] "فدائما يقيسون ما يرونه فى العالم الإسلامى على ما لديهم من قوالب مصبوبة جامدة"[٣]، وشهد بهذا المستشرق "رودنسون" حين قال : "ولم ير المستشرقون فى الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته .. ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليصل إلى المرحلة التى وصلتها أوربا، ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه"[٤]. ولقد وصل البعض فى تحليله إلى أن أمر هذه الفرق والحكم عليها بالخروج عن دائرة الإسلام ليس إلا فرع من التكفير الفكرى أو الصراع الفكرى الذى يستخدم سلاح التكفير، وليس ذلك من قبيل الأحكام الشرعية، وذلك للتقليل من حدة الأحكام المطلقة على هذه الفرق. وهكذا يلتبس الحق بالباطل فى هذا التأويل، بل وفى إثارة موضوع الفرق بكامله، والذى يجب أن لا يتعدى حد الدراسة الموضوعية المتأنية فى ضوء القاعدة المتضمنة فى النقطة السابقة، وهى أن نرد الظاهرة إلى الوحى باعتباره الأصل الذى يقاس عليه، وحينئذ يمكن التحاكم الفكرى حول الموضوع.

---

(١) حسن حنفى، **التراث والتجديد**، المرجع السابق، ص ص ٦٠-٦٣ .

(٢) محمود حمدى زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى**، مرجع سابق، ص ١١٦ .

(٣) محمود حمدى زقزوق، **فى مواجهة الاستشراق**، مرجع سابق، ص ص٣٣، ٣٤ .

(٤) المرجع السابق،ص ٣٤ .

و- يعطى الاستشراق لنفسه فى دراسته موقف ممثل الاتهام والقاضى، فبينما نجد مثلا : أن علم التاريخ يحاول أن يفهم فقط ولا يضع موضع الشك أسس المجتمع الذى يدرسه، نجد أن الاستشراق يعطى لنفسه حق الحكم، وبل حتى الاتهام والرفض للأسس الإسلامية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى وذلك ناتج عن نوايا مسبقة لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون نوايا علمية صافية[١].

ز- التحالف بين فريق من المستشرقين وبين الاستعمار الذى سيطر على معظم البلاد العربية والإسلامية، بفضل مساعدة هذا الفريق، ومن هؤلاء المستشرقين : "كارل هنريخ بيكر" مؤسس مجلة الإسلام الألمانية عام ١٩١٠م، "وسنوك هوجر ونجه"، "ولويس ماسينيون" الذى شغل وزارة المستعمرات الفرنسية لشئون شمال إفريقية[٢]، وغيرهم من المستشرقين، لذلك تعد حركة الاستشراق المسئول الأول عما أصاب الشعوب الشرقية الإسلامية والعربية من جراء الاستعمار[٣]. واستخدموا معلوماتهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين فى الحرب الدائرة وخدمة أغراض الاستعمار ومكافحة الإسلام والمسلمين وضرب الثقافة الإسلامية.

ح- أخطاؤهم فى الترجمة والنسخ : بسبب عدم كفاءة بعضهم فى الترجمة، وعدم فهمهم لمدلولات اللغة العربية، أو فهمهم للغة العربية من خلال مدلولات اللغة التى يتحدثون بها ويستخدمونها فى الكتابة والتأليف؛ فاتجهوا إلى الاستنتاجات، ومن هؤلا المستشرقين : المستشرق كازانوفا، حيث ترجم كلمة "أمى" بـ "شعبى"[٤]، وبهذا لم يكن الخطاب الاستشراقى أمينا فى تناوله للتراث الإسلامى أو نقله، فشوه الشخصية الإسلامية أمام نفسها وأمام الغربيين[٥].

ط- الدعوة إلى إصلاح الإسلام، حيث يزعم المستشرقون أن الإسلام دين جامد، وأنه لم يعد مسايرا لروح العصر، ولذلك فهو فى حاجة إلى إصلاح جذرى، وفى ذلك يقول أحد المستشرقين إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييرا جذريا

---

(١) محمود حمدى زقزوق، **فى مواجهة الاستشراق**، مرجع سابق، ص ٣٤ .

(٢) محمود حمدى زقزوق، **الإسلام والغرب**، مرجع سابق، ص ٣٠ .

(٣) محمد أركون وآخرون، **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**، مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٤) أنور الجندى، تاريخ الغزو الفكرى والتغريب، مرجع سابق، ص ١٥٨ .

(٥) محمد إبراهيم الفيومى، الاستشراق فى ميزان الفكر الإسلامى، **سلسلة قضايا إسلامية**، رقم ٣، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٨٩ .

فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة"، وهذه دعوة يوجهها للمسلمين غريب عنهم بشأن ما ينبغى عليهم أن يفعلوه فى دينهم، وهذا الإصلاح المزعوم يمثل محاولة من محاولات تغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام وجعل الإسلام أقرب إلى المسيحيه بقدر الإمكان[١] ومن أمثلة ذلك قولهم بوجود جمود فى العقيدة.

ثانياً : توصيات ومقترحات :

وبعد ذلك، وبعد أن توصلنا إلى نقاط القوة والضعف فى الفكر الاستشراقى، الذى يمثل أحد روافد الحضارة الغربية، ألا يمكن الرد على تلك الحضارة الغازية بحضارة تماثلها أو تغلبها، لو أننا تعلمنا منهم ما يتفق مع عقيدتنا ويصلح حالنا، كما تعلموا منا، فأخذوا ما رأوا فيه صالحهم وغلبونا بهم؟

إذن لم لا يتم تخصيص معهد أو قسم - على الأقل - فى مؤسساتنا التعليمية وخاصة فى الجامعة، وذلك لدراسة الحضارة الغربية بشتى جوانبها الفكرية والتاريخية والعقدية، ونستخرج من خلال تلك الدراسة ما نتوقع فيه تقدما، دون تضييع لهويتنا الإسلامية، وتسمى هذه الدراسة بـ "الاستغراب" أى دراسة علوم الغرب، كما أن الاستشراق هو دراسة علوم الشرق، وقد قدمت عدة مقترحات للرد على الحضارة الغازية ومواجهتها، وسيعرض البحث لكل اقتراح بشئ من التفصيل، **ومن هذه المقترحات :**

أ- اقتراح محمد البهى[٢] وشمل عدة مشروعات يكمل بعضها البعض وهى :

١- **دار القرآن :** وهى فى مقدمة المشروعات، وأهم أهدافها : دراسة الفكر الاستشراقى ثم مواجهته بالقيم الإسلامية المجردة عن التزييف والتحريف، بعد توضيح الثغرات المنهجية والموضوعية والتعصب ضد الفكر الإسلامى، وطبع الآف النسخ من المصحف الشريف وتوزيعها مجانا أو بسعر زهيد، وإقامة دار إسلامية للضيافة ومكتبة إسلامية لكبار الضيوف من علماء ومفكرى الإسلام.

٢- **جمعية الفقه المقارن والدراسات التاريخية :** وهدفها إقامة أكاديمية إسلامية حرة لعرض الفقه الإسلامى فى دراسة مقارنة بين المذاهب الإسلامية مع تأصيل تلك الاراء، وإنشاء دراسة فقهية إسلامية مقارنة مع القوانين الوضعية فى التشريعات

---

(١) محمود حمدى زقزوق، **فى مواجهة الاستشراق**، مرجع سابق، ص ٣٥ .

(٢) محمد البهى، **الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر**، مرجع سابق، ص ص ٥٢٩-٥٤٧ .

المختلفة لتتضح القيمة الذاتية للفقه الإسلامى والأصول الإسلامية التى استمد منها الفقه أحكامه، مع اشتمال تلك الجمعية على مكتبة فقهية قانونية وتاريخية.

٣- **المعاهد الإفريقية الإسلامية** : وهدفها الاتصال مباشرة بين الأزهر مقر مركز الدراسات الإسلامية وبين البلاد الإسلامية المستقلة فى إفريقية، أو التى لم تستقل بعد، أو التى بها أقلية مسلمة، لإحياء الروابط الإيمانية والعقدية بالإسلام، التى حاول الاستعمار وأدها، وهذا قد يؤدى إلى الوحدة فى مختلف المجالات بين البلاد الإسلامية، وقد رُصد - بالفعل - لهذا المشروع بقرار وزارى أكثر من ثلثمائة ألف جنيه.

٤- **معهد الإعداد والتوجيه** : ويرتبط بالمشروع السابق، وقد أنشىء بالفعل، وألحق بجامعة الأزهر، ومدة الدراسة به سنتان، ويلتحق به الطلاب الوافدون للدراسة فى الأزهر أوفى إحدى جامعات مصر، أو بعض خريجى جامعة الأزهر المجيدين للغة أوربية حديثة، انجليزى أو فرنسى، ويعين الطالب الوافد المتخرج من هذا المعهد فى المعهد المقام ببلده أو القريب منه، أما المصرى المتخرج من هذا المعهد فيوفد فى بعثه تعليمية لإفريقية أو آسيا لمدة معينة تحت الاختبار، فإذا نجح فى سلوكه أكمل باقى المدة التى تقتضيها المصلحة العامة.

٥- **الكتاب الإسلامى فى إفريقية:** وهو مكمل لمشروع المعاهد الإسلامية الأفريقية، وهو كتاب موجه، أى أنه ليس موحدا لجميع مسلمى إفريقية، بل يتناول مشكلة أو عدة مشكلات خاصة بمجتمع إفريقى معين بلغة أجنبية لهذا البلد أو المنطقة، وفى نفس الوقت معه كتاب آخر يتناول نفس المشكلة ولكن بلغة وطنية متاحة للعامة، وبجانب هذين يوجد كتاب ثالث يعرض المبادئ الدينية باللغة العربية. فهذه سلسلة متماسكة من المشروعات لمواجهة الوضع الراهن الناتج عن السياسة الاستعمارية حتى يمكن الوقوف فى وجه التبشير والاستشراق[١].

وهناك بعض الأفكار الأخرى لبعض المفكرين لتوضيح كيفية التعامل مع الفكر الاستشراقى، وخاصة كيفية الرد على ما سقط فيه من بعض المزالق، **ومن تلك التصورات:**

---

(١) محمد البهى، **الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر**، مرجع سابق، ص ٤٤٧ .

ب - **اقتراح محمود حمدى زقزوق**[١] :

قدم "زقزوق" تصورا أو اقتراحا يمكن من خلال تطبيقه الوقوف فى وجه نقاط الضعف وسلبيات الدراسات الاستشراقية، وتمثل اقتراحه هذه فى عدة نقاط هامة هى :

١- أن تكون دراستنا للفكر الاستشراقى على نفس مستواه؛ بحيث يمكن لنا دراسته دراسة عميقة.

٢- ضرورة إصدار دائرة معارف إسلامية يصدرها المفكرون المسلمون باللغة العربية واللغات الأوربية، بحيث تفوق دائرة المعارف التى أصدرها المستشرقون، أو على الأقل تكون ندا لها.

٣- العمل على إقامة مؤسسة علمية عالمية، يكون ولاؤها لله ورسوله، بدلا من الولاء لمذهب أو فكر أو دولة معينة، وذلك عن طريق توحيد الجهود فى العالم الإسلامى، واستقطاب الكفاءات العلمية فى مختلف بقاع العالم، ويكون لها دورياتها ومطبوعاتها العلمية، مهمتها الأساسية استعادة الأصالة والاستقلال الفكرى.

٤- الحاجة إلى جهاز للدعوة الإسلامية فى الخارج، أى مؤسسة تبشيرية عالمية للإسلام، مهمتها : الدعوة للإسلام، وتوجيه المسلمين وحمايتهم، وعرض الإسلام بأسلوب علمى معاصر، وحل المشكلات المعاصرة للمسلمين.

٥- العمل على إنشاء مركز بحوث يضم أربع شعب، هى :

- شعبة لدراسة التيارات الفكرية المعاصرة وموجات التغريب.
- شعبة لدراسة التبشير من شتى جوانبه،ومدى أخطاره على المسلمين،وكيف يمكن مواجهته.
- شعبة للدراسات الاستشراقية، لمعرفة ما يحتويه من أباطيل.
- شعبة للمعلومات تمد الشعب السابقة بما تحتاجه من معلومات عن أوضاع المسلمين فى المجتمعات،وعن أفكارهم، والأقليات،وتحركات المبشرين،ومؤتمرات المستشرقين وخططهم.

٦- إنشاء دار نشر عالمية : حتى لا تظل المطبوعات الإسلامية تحت رحمة الناشر الغربى، ولإصدار صحف ومجلات إسلامية بمختلف اللغات، وللربط بين المسلمين فى كل مكان.

---

(١) لمزيد من التفصيل حول هذا الاقتراح أو التصور، فضلا،راجع لمحمود حمدى زقزوق المؤلفات الآتية:

- **فى مواجهة الاستشراق**، مرجع سابق، ص ص ٣٦-٤٠ .
- **الإسلام والغرب** ،مرجع سابق، ص ص ٣٥-٣٧ .
- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى**، مرجع سابق، ص ص ١٣٠-١٥٣ .
- **قضايا فكرية واجتماعية فى ضوء الإسلام**، مرجع سابق، ص ٢٣١ .

٧- إنشاء وكالة أنباء إسلامية عالمية تكون هى المصدر الذى يستقى منه الغرب معلوماته عن المسلمين، بعكس ما هو حادث، حيث نستقى المعلومات عن إخواننا المسلمين من الغرب نفسه.

٨- إخراج ترجمة مقبولة مناسبة لمعانى القرآن بشتى اللغات، وطبعها وتوزيعها على مختلف البلاد، وذلك لمواجهة الطبعات الموجودة التى أعدها المستشرقون، وأيضا ترجمه مجموعة من الأحاديث النبوية.

٩- الشجاعة فى اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية فى الخارج، عن طريق الاتفاقيات الثقافية التى تعقد بين البلاد العربية والإسلامية وبين بلاد أوربا وأمريكا، وإرسال الأساتذة والمفكرين المسلمين إلى تلك البلاد التى هى معقل المستشرقين، لتصحيح التصورات الأوربية عن الإسلام.

١٠- الحوار مع المستشرقين المعتدلين، عن طريق عقد لقاءات وندوات تجمع بين هؤلاء المستشرقين وبين العلماء المسلمين.

جـ- مشروع حسن حنفى :

يعد حسن حنفى من أشهر المفكرين الذين دعوا إلى دراسة الغرب تحت مسمى "علم الاستغراب" وظهر هذا بوضوح من خلال كتابه "مقدمة فى علم الاستغراب"، حيث أشار إلى أن "علم الاستغراب فى مقابل الاستشراق ضرورة ملحة فى عصر الثورة المضادة، بعد أن عاد الغرب بهجمته الاستعمارية الثانية بعد هجمته الاستعمارية الأولى، إثر حركات التحرر الوطنى"(١).

ومن المهام التى أسندها للاستغراب :"القضاء على المركزية الأوربية، أى القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة، وبالتالى إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعى الأوربى، والكفة المرجوحة للوعى اللاأوربى، فطالما أن الكفتين غير متعادلتين سيظل الوعى الأوربى هو الذى يمد الثقافة الإنسانية بنتاجه الفكرى والعلمى، وكأنه هو النمط الوحيد للإنتاج"(٢).

ومن المهام - أيضا - التى يهدف إليها علم الاستغراب هى "تصحيح المفاهيم المستقرة - والتى تكشف عن المركزية الأوربية - من أجل إعادة كتابة تاريخ العالم من

---

(١) حسن حنفى، **مقدمة فى علم الاستغراب**، مرجع سابق، ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ص ٣٦، ٣٧، ٣٨ .

منظور أكثر موضوعية وحيادا وأكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية فى تاريخ العالم"[١]. إذن فعلم الاستغراب يهدف إلى "إنهاء أسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء، وأوربا مركز الثقل فيه، تاريخ العالم هو تاريخ الغرب، وتاريخ الإنسانية هو تاريخ الغرب، وتاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلسفة الغربية، فى الغرب يصب كل شئ، ما قبله وهو الشرق بدايات التاريخ البشرى كما يقول هردر وكانط، وما بعده عصر الفضاء الذى يمتلكه الغرب، عصور الغرب هى عصور الكل"[٢]، وهذا معناه أن الغرب هو منبع ومركز كل شئ.

"إن مهمة مفكرينا وباحثينا هى إعادة صياغة فلسفات التاريخ الأوربى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خاصة، والتى صاغت التاريخ كله، بحيث يصب فى النهاية فى الحضارة الغربية، ووضع الحضارة الغربية فى مكانها الطبيعى كمرحلة من مراحل تطور الإنسانية"[٣].

كانت هذه هى أبرز الأهداف المراد تحقيقها من علم الاستغراب وإذا ما تم تأسيس وإقامة علم الاستغراب، وتناوله مجموعة من الباحثين على عدة أجيال، ثم صار تيارا عاما فى البلاد، يسهم فى تكوين ثقافة وطنية، حينئذ يمكن أن يتمخض عن عدة نتائج ذكرها "حسن حنفى" وهى :

١- السيطرة على الوعى الأوربى، بحيث يمكن احتواؤه، وبذلك يقل إرهابه، فيسقط الاعتقاد بأنه فكر لا يُقهر، وبذلك يتحول الدارس إلى مدروس والذات إلى موضوع ولا نصبح ضائعين فيه.

٢- دراسة الوعى الأوربى على أنه تاريخ وليس خارج التاريخ، أى على أساس أنه إحدى مراحل تاريخ الوعى الإنسانى الطويل، ابتداء من مصر والصين والحضارات القديمة.

٣- رد الغرب الأوربى إلى حدوده الطبيعية، وإنهاء الغزو الثقافى، وإيقاف هذا المد الذى لا حدود له، وإرجاع الفلسفة الأوربية إلى بيئتها المحلية التى نشأت منها، وذلك

---

(١) حسن حنفى، **مقدمة فى علم الاستغراب**، مرجع سابق، ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٤٢ .

لإظهار خصوصيتها التى نشرتها وعممتها من خلال الاستعمار والسيطرة وأجهزة الإعلام فى لحظة ضعف الأنا وتقليده للآخر.

٤- التخلص من أسطورة الثقافة العالمية، واكتشاف خصوصيات الشعوب، حيث إن لكل شعب نمطه ووعيه الحضارى الخاص به، وتطبيق مناهج علم اجتماع المعرفة والانثروبولوجيا الحضارية على الوعى الأوربى الذى طبقها على كل الثقافات الأخرى إلا ثقافته، وبالتالى تنتهى مقولة الحضارة الرئيسية والحضارات الفرعية، فتصبح الحضارات كلها على مستوى واحد، عندئذ يحدث التبادل والتفاعل الحضارى، دون أن تقضى الحضارة الكبرى على الصغرى تحت مسمى التحضر والتثقف.

٥- إعطاء الفرصة للإبداع الذاتى للشعوب غير الأوربية، وتحريرها من ذلك الغطاء الذهنى وتلك البنية العقلية، لكى تفكر الشعوب بعقلياتها الخاصة وأطرها المحلية، لأنه ليس هناك نموذج واحد يصدق على كل الشعوب، وبذلك تصبح العلاقات بين الحضارات علاقات متبادلة وليست ذات اتجاه واحد.

٦- التخلص من عقدة النقص لدى الشعوب غير الأوربية بالنسبة للغرب، حتى يمكنها الإبداع والابتكار بدلا من كونها مجرد شعوب مستهلكة للعلم والثقافة والفن.

٧- إعادة كتابة التاريخ بما يحقق أكبر قدر من المساواة فى حق الشعوب بدلا من النهب الأوربى لثقافات العالم، واكتشاف دور الحضارات التى ساهمت فى تكوين الحضارة الغربية.

٨- بداية فلسفة جديدة للتاريخ، تبدأ من ريح الشرق، واكتشاف الدوائر الحضارية وقانون تطورها أشمل وأعم من البيئة الأوربية، وإعادة النظر فى وضع الشعوب الشرقية كبدايات للتاريخ.

٩- انتهاء الاستشراق، وتحول حضارات الشرق من موضوع إلى ذات، وتصحيح الأحكام التى ألقاها الوعى الأوربى وهو فى قمة يقظته، على حضارات الشرق وهى فى سباتها العميق، فالاستشراق هو المرآة التى يكشف فيها الوعى الأوربى عن ذاته للآخرين، وقد بدأ الاستشراق- الآن - يتحول من دراسة موضوع إلى موضوع دراسة، وفى داخل الغرب نفسه بدأ يتحول الاستشراق إلى العلوم الإنسانية فى آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية.

١٠- إنشاء علم الاستغراب كعلم دقيق، بعد ظهور إرهاصاته.

١١- تكوين الباحثين الوطنيين الذين يدرسون حضاراتهم الخاصة من منظور وطنى، وحضارة الغير بطريقة أكثر حيادا وإنصافا مما فعله الغرب مع الشعوب الأخرى، وبالتالى تنشأ العلوم الوطنية وتتكون الثقافة الوطنية.

١٢- بداية جيل جديد من المفكرين بعد جيل الرواد الأوائل فى عصر النهضة، يمكن تسميتهم فلاسفة بدلا من هذا الصخب الدائر والضجيج المسموع حول سؤال : هل لدينا فلاسفة؟

١٣- قد ينتج عن علم الاستغراب، شهود الإنسانية عصرا جديدا تختفى منه العنصرية التى نشأت أثناء تكون الوعى الأوربى، حتى أصبحت جزءا من بنيته، وبالتالى تختفى عدوانية الشعوب ضد بعضها[١].

كان هذا هو أحد جبهات مشروع حسن حنفى "التراث والتجديد"، ذلك المشروع الذى تكون من ثلاث جبهات : فالأولى : الموقف من التراث القديم، والثانية : موقفنا من التراث الغربى الذى ظهر من خلال دعوته إلى علم الاستغراب، والثالثة : موقفنا من الواقع[٢]، ويعد ما أدلى به "حسن حنفى" من خلال "علم الاستغراب" هو أحد الأفكار لتوضيح موقف الشرق العربى والإسلامى من الاستشراق.

وهناك اقتراح آخر قدمه "**حسان محمد حسان**" [٣] لا يختلف فى مضمونه عن المقترحات السابقة.

حوار لا مواجهة :

كانت هذه هى بعض التصورات النظرية والاقتراحات الإجرائية العملية لمجابهة سلبيات الفكر الاستشراقى إزاء علاقته بالفكر العربى الإسلامى، ونظرا لأن الفكر الذى يكون مطروحا على الساحة يكون له تأثيره فى السلوك وفى الفكر التربوى وفى كيفية المعالجة لبعض المشكلات التى قد توجد على الساحة وخاصة الساحة الفكرية، وبالتالى فالتصورات التى طرحت كانت مستمدة مما هو موجود على الساحة الفكرية، أما الآن ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين، فإن المواجهة ينبغى أن تأخذ شكلا جديدا يتماشى مع المتغيرات الحادثة فى العالم، وخير وسيلة لتلك المواجهة هى **الحوار** وقد أشار لاستخدام هذا الأسلوب **محمود حمدى زقزوق**، حيث طالب بضرورة وأهمية الحوار

---

(١) حسن حنفى، **مقدمة فى علم الاستغراب**، مرجع سابق، ص ص ٥٠-٥٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٩ .

(٣) حسان حمد حسان، **مقترحات للرد على أخطاء المؤرخين**، مرجع سابق، ص ص ١٠٨ - ١١٩ .

مع المستشرقين المعتدلين، وأسلوب الحوار من الأساليب التى تستخدمها التربية، فهو إذن أسلوب تربوى، هدفه : الاقتناع بكل الحجج المتصلة بموضوع الحوار، والحجج اللازمة للإقناع، وهى ما كانت مبنية على التعليل والجدال بالحسنى، والفكر المستقيم غير المضلل وليست الحجج الإجبارية.

ويمكن للدراسات الشرقية أن تكون جسرا للاتصال الحضارى بالقدر الذى تستطيع به أن تحلل وتكشف الجوانب المتشابهة والمختلفة بين الحضارات، وبالقدر الذى تسعى به للبحث عن قواعد مشتركة للحوار الحضارى[١]، وإذا كان الإسلام والمسيحية لم يدخلوا - فى الماضى - فى علاقة حوار جدى، إلا إن كلا من الطرفين حاول إقناع الآخر إما عن طريق التبشير، وإما عن طريق فرض رأيه على الآخر عن طريق الحرب، وإذا كانت هناك لحظات حوار بهدف الوصول إلى جوامع مشتركة، فإنها كانت لحظات عابرة سرعان ما تجهض[٢]، وقد أصبح الحوار هو الصيغة الأساسية التى لا يمكن للطرفين الاستغناء عنه، بل إنه صار لنا نحن المسلمين حاجة وجودية، لأن المتغيرات التى تحدث على مستوى العالم هى نفس المتغيرات التى تواجه الغرب، لا يمكننا ولا يمكنهم مواجهتها منفردين، لهذا فنحن محتاجون للتواصل الحضارى والتفاعل الثقافى أكثر من الغربيين[٣]، وقد أشار لأهمية الحوار المفكر العالمى المسلم "**جارودى**"، الذى أكد على أنه لا طريق يوصلنا لتأمين المستقبل إلا بالحوار بين الحضارات، فذلك هو مشروع الأمل الجديد لمستقبل جديد، من خلال الرؤية الجديدة ذات الشكل الحوارى[٤].

ومما يبعث على التفاؤل بمستقبل الحوار بين الإسلام والغرب هو طى صفحة الاستشراق المتعصب التقليدى، وفتح عهد حوار الثقافات، وهذا هو ما يلحظ فى كل الملتقيات التى تنظم على المستوى العالمى، فنحن اليوم فى فجر عهد جديد أصبحنا فيه أكثر وعيا بأن الثقافات قوى حاسمة فى بناء التفاهم بين الشعوب[٥].

---

(١) فريدمان بوتنر، **اميريالية وجدانية أم جسر للاتصال الحضارى**، فى : محمد إبراهيم الفيومى، رسالة فى الحوار الفكرى بين العرب والحضارة، مرجع سابق، ص ١٥٧ .

(٢) الفضل شلق، الحوار الذى لم يبدأ، **مجلة الاجتهاد**، عدد ٣١-٣٢، السنة الثامنة، بيروت، دار الاجتهاد. ربيع وصيف ١٤١٦هـ/١٩٩٦، ص ٧ .

(٣) رضوان السيد، الحوار الإسلامى - المسيحى والعلاقات الإسلامية - المسيحية، **مجلة الاجتهاد**، عدد ٣١-٣٢، مرجع سابق، ص ٣٥ .

(٤) محمد إبراهيم الفيومى، **رسالة فى الحوار الفكرى**، مرجع سابق، ص ١٤٦ .

(٥) المرجع السابق، ص ٨٦ .

والحوار الذى نقصده هو : حوار العلاقات، فالغرب يحتاج للعرب، والعرب يحتاجون للغرب، فالحوار "شأن ثقافى يجانب المسائل الدينية الصرفة، لأنها تتعلق بفرضيات ومواقف إيمانية يعتبرها أصحابها مسلمات مطلقة، لكنه يتناول الجوانب الأخرى من الحياة البشرية، وهو يعكس فى مساره ميزان القوى بين الثقافات والمجتمعات وطرائق عيشها وتفكيرها"(١).

محاولات الحوار :

انطلقت الدعوة للحوار بين المسلمين والمسيحيين من جانب الكنائس الغربية الأمريكية والأوربية فى الخمسينات، وانعقدت عدة لقاءات بين الطرفين، ولكنها لم تؤت ثمارها المرجوة، بسبب الاستجابة الضعيفة من طرفى الحوار، فالمسلمون مشغولون بالحصول على استقلال بلادهم، والغرب المسيحى مشغول بصراعه مع الاتحاد السوفيتى أثناء فترة الحرب الباردة، وفى عقد الستينيات حدثت مستجدات على مستوى طرفى الحوار، ولكنها بدأت بالظهور فى الجانب المسيحى الغربى، حيث إن المجمع الفاتيكانى الثانى عام ٦٢-١٩٦٥م جعل من همه فتح آفاق للحوار مع الأديان الأخرى، ومن ضمنها الإسلام والمسلمون(٢)، فأصدر هذا المجمع فى خلال تلك الأعوام ٦٢-١٩٦٥م تصريحا عن علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية وقد وافق على نص هذا التصريح ٢٢٢٦ أسقفا، بينما عارضة ٨٨ صوتا فقط، وتكّون هذا التصريح من خمسة أقسام، خصص القسم الثالث منه للديانة الإسلامية، وتضمن النص النهائى للتصريح بشأن الإسلام القول بأن الكنيسة تنظر بعين الاعتبار للمسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحى القيوم، كما شجبت الكنيسة كل تفرقة بين البشر بسبب العرق أو اللون أو الديانة(٣). ومن المتغيرات الخاصة بالمسيحيين أيضا والتى شجعت على ظهور الحوار، أنه قد تفرع عن مجلس الكنائس العالمى، مجلس كنائس الشرق الأوسط الذى ضم الكنائس البروتستانتية والأرثوذكسية، وتوالت بياناتهم وتوصياتهم فى مؤتمراتهم السنوية، واجتماعات مؤسسات المجمع الفرعية، وكلها موجهة للحديث مع المسلمين والاهتمام بقضاياهم الاجتماعية والسياسية، أما المتغيرات المتلعقة بالمسلمين فتمثلت فى تضاؤل شكوكهم باستقلالية الأطراف المسيحية المحاورة عن سياسات دولهم، وفى الدعوات المتكررة من جانب

---

(١) الفضل شلق، مرجع سابق، ص ١١ .

(٢) رضوان السيد، مرجع سابق، ص ص ١٣، ١٤ .

(٣) أليكسى حورافسكى، مرجع سابق، ص ص ١٤٢، ١٤٣ .

مؤسسات الحوار المسيحى لحل عادل لقضية فلسطين، ورؤية غير مؤيدة لإسرائيل فى مسألة القدس بعد حرب ١٩٦٧م[١].

ومنذ عام ١٩٦٥م جرت العديد من اللقاءات الإسلامية المسيحية بصورة مستمرة، ومن أهمها :

- فى نيسان ١٩٧٤م قام سكرتير "أمين سر" أمانة شئوون الديانات غير المسيحية الكاردينال "بينيدولى" بزيارة للسعودية، قابل خلالها "الملك فهد"، كما زار القاهرة فى نفس العام، وفى أكتوبر من نفس السنة قام وفد من العلماء المسلمين من السعودية برد الزيارة للفاتيكان.
- وفى أيلول ١٩٧٤م وآذار ١٩٧٧م عقد مؤتمران عالميان ضخمان للحوار الإسلامى المسيحى فى "قرطبة".
- وفى عام ١٩٧٨م دُعى الكاردينال "بينيدولى" إلى جامعة الأزهر، وظلت الحوارات مستمرة طوال السبعينات، منها ما عقد فى "شانتيليه بفرنسا، وفى استراليا بملبورن.
- وفى عام ١٩٨٠م فى آيار عقد مؤتمر فى كانبيره باستراليا.
- وفى الشرق الأدنى عقدت مؤتمرات إسلامية - مسيحية ضخمة، فى بيروت ١٩٧٢م، ١٩٨٠م، وفى القدس فى آذار ١٩٨٤م.
- وفى يومى ٦، ٧ آيار ١٩٨٥م شهدت روما ملتقى فكريا للأديان تحت عنوان "القداسة فى الإسلام والمسيحية" نظمه المعهد البابوى للدراسات العربية الإسلامية.
- وفى عقدى الثمانينيات والتسعينات نشطت جمعيات الحوار الإسلامى المسيحى بصورة كبيرة، مثل رابطة الصداقة الإسلامية المسيحية، التى نظمت مؤتمرات الحوار المنعقدة فى قرطبة بأسبانيا، ومجموعة الدراسات الإسلامية المسيحية "مسيحية وإسلام" بأسبانيا[٢].
- وسيعقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر المؤتمر العام التاسع هذا العام خلال المدة من ١٣ - ١٦ يوليو ١٩٩٧م بالقاهرة، وسيكون هذا المؤتمر عن "الإسلام وعلاقته بالغرب"، ويذكر **محمود حمدى زقزوق** - وزير الأوقاف - أن هدف هذا المؤتمر هو جعل التعاون بين الشعوب يقوم على الفهم الصحيح النابع من حوار فكرى

---

(١) رضوان السيد، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) أليكسى جورافسكى، مرجع سابق، ص ص ١٥٥-١٥٨.

متبادل، حوار ينبذ الأفكار السابقة لدى طرفى الحوار لإزالة سوء الفهم، لتحقيق تعاون قائم على المصارحة الكاملة وحسن النية المتبادلة [١]. كما يعقد مؤتمر سنوى تحت رعاية الفاتيكان تعقده مؤسسة سنتيجيديو" ففى عام ١٩٩٤م عقد فى "أسيسى" وفى ١٩٩٥ عقد فى فلورنسا وفى ١٩٩٦م عقد فى روما، وهو للحوار بين الأديان"[٢].

إذن فكل هذه المحاولات للحوار إن دلت على شئ فإنما تدل على مدى الجدية فى إحداث تبادل فكرى وتفاعل حضارى بين أصحاب أكبر ديانتين فى العالم : الإسلام والمسيحية، وبالتالى ينعكس أثر ذلك على الفكر فى الغرب والشرق.

وقد اتسمت محاولات الحوار السابقة بعدة أمور، منها :

١- أن زمام المبادرة فى الحوار كان بيد الطرف المسيحى الغربى، وبالتالى كان هذا الطرف هو الذى يحدد موضوعات الحوار ونقاطه أو مجالاته، وذلك بسبب الاختلال فى ميزان القوى بين الطرفين.

٢- فى فترة ما بين الخمسينيات والثمانينيات، تنوعت موضوعات الحوار - من وجهة نظر الغرب - طبقا للتطورات الثقافية والسياسية، ففى البداية كان الحوار مع المسلمين لأجل كسب تأييدهم ضد الشيوعية، وفى الستينيات والسبعينيات دخلت - ضمن موضوعاته - القضايا السياسية والاجتماعية، ولذلك حدث تقارب إلى حد ما، وفى الثمانينيات سيطرت موضوعات حقوق الإنسان والديمقراطية.

٣- غلب على أطراف الحوار منذ الخمسينيات وحتى الثمانينيات الطابع الرسمى، ما عدا بعض الاستثناءات فى لبنان، وفى الثمانينيات اتسعت بيئات الحوار لتشمل أناسا مسلمين مهتمين بالحوار، ولكن بشكل شخصى غير رسمى.

٤- أن مصادر المعرفة المسيحية عن الإسلام حتى الثمانينيات كانت استشراقية، ولكن فى الثمانينيات دخلت بعض الرؤي الأنثروبولجية لديهم، أما المسلمون المشاركون فى الحوارات الدائرة، فبعضهم يعرف الكثير عن الثقافة الغربية الحديثة بحكم اختصاصهم فى القانون والتاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم، لكن

---

(١) بنت الشاطئ، حوار بين الأديان فى حوار الفاتيكان، **جريدة الأهرام**، الخميس ١٨ ذى القعدة ١٤١٧هـ/٢٧مارس ١٩٩٧م، السنة ١٢١، العدد ٤٠٢٨٨، ص ١٠ .

(٢) **جريدة الأهرام**،الاحد ٢١ ذى القعدة ١٤١٧هـ/٣٠مارس ١٩٩٧م،السنة ١٢١،عدد٤٠٢٩١،ص١٢ .

لا أحد يعتبر الحوار حرفته أو شغله الدائم، بعكس المحاورين المسيحيين، حيث يعود المختص المسيحى فى الغالب إلى جامعته أو معهده لمتابعة العمل فى المجال نفسه، وتقييم مسار النقاش[١].

ورغم هذه المحاولات العديدة لإجراء الحوار بين الغرب والشرق، إلا أنه وجدت مجموعة من العوائق، جعلت الحوار لم يؤت ثماره المرجوة، **ومن هذه العوائق :**

١- عبء التاريخ : فهو يقف حاجزا دون القيام بحوار إسلامى مسيحى مثمر، فتاريخ العلاقات بين الطرفين فى القرون الماضية كان يسوده نزاع طويل وصراع كان يشتد عنفا من وقت لآخر، وذلك رغم تكثيف العلاقات الثقافية بين الطرفين بما فيها من تبادل العلم ومقومات الحضارة[٢]، وهذا أدى إلى انعدام الثقة بين الطرفين، بحيث لم يكن لأوربا ثقة فى مستعمراتها، كما لم يكن للبلاد المستعمرة ثقة فى نوايا أوربا، لذلك كان من الصعب قيام حوار مثمر بين أوربا والإسلام[٣].

٢- عبء الحاضر : ويتمثل فى غموض المواقف المختلفة فى العلاقات الدولية ومغيبات المستقبل مما لا يشجع على اكتساب السكينة العاطفية والصفاء الفكرى الذى لابد منهما لمن يشتغل بقضية الحوار الإسلامى المسيحى[٤].

٣- ما تركه الاستشراق من تصورات جاهزة أو ثابتة، فصارت عائقا للتبادل الثقافى.

٤- ما يزعمه بعض المفكرين من أن التمايز الكائن بين الشرق والغرب يعنى إقامة حدود عازلة بينهما، حيث يصف بعض المفكرين الشرق بأنه مركزية دينية، لأنه مهد الأنبياء والوحى، بينما يوصف الغرب بأنه مركزية عقلية لأنه مهد الفلاسفة والفلسفة والمنطق.

٥- الانفصام فى الشخصية العربية (اللاتكيف) : فكيف يتأتى التكيف للأفراد العرب المثقفين، فى حين أنهم منقسمون إلى أحزاب متناحرة وغير مستقرة فكريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، وبالتالى فكيف نجرى حوارا هكذا؟ بل لابد من إجراء حوار داخلى أولا، حتى نتفق على مبدأ واحد[٥].

---

(١) رضوان السيد، مرجع سابق، ص ص ١٥-١٧ .

(٢) عادل تيودورخورى، الفاتيكان والحوار الإسلامى المسيحى، **مجلة الاجتهاد**، عدد ٣١، ٣٢، مرجع سابق، ص ص ٣٩، ٤٠ .

(٣) محمد إبراهيم الفيومى، **رسالة فى الحوار الفكرى**، مرجع سابق، ص ٩٤ .

(٤) عادل تيودورخورى، مرجع سابق، ص ٤٠ .

(٥) محمد إبراهيم الفيومى، **رسالة فى الحوار الفكرى**، مرجع سابق، ص ٢٢٠ .

٦- ويرى البعض "أن الإسلامية الصاعدة فى أوساط المجتمعات الإسلامية كانت حتى الآن عائقا من العوائق التاريخية والثقافية لحوار المسلمين مع الغرب ومع الأديان والثقافات الأخرى، لكن الرؤي الغربية التاريخية والمستجدة للتيارات الإسلامية وللإسلام بشكل عام تلعب الآن الدور الأبرزفى الحيلولة دون انتظام الحوار واستمراره مع المسلمين لدى الدوائر السياسية والاستراتيجية والثقافية فى الغرب"(١).

٧- غياب الندية بين طرفى الحوار، فإذا كان الطرف الغنى اقتصاديا يتحاور من موقف الاستعلاء، والطرف الفقير يتحاور من موقف الاستجداء، عندئذ لا أمل فى نجاح الحوار أو نجاح الاتصال الحضارى(٢).

٨- عدم الاقتناع بقيمة الحوار، يجعل البعض يعتبرونه مهمة محصورة فى المختصين، أو أنه علامة ضعف وخيانة للإيمان(٣).

إذن تعد مهمة تبنى قضية الفهم المشترك مهمة شاقة، وخاصة فى عالمنا الذى نعيشه الآن، ذلك العالم الملئ بالخصومات السياسية والأيديولوجية، مما يجعل التعاون نحو لغة الفهم المشترك مهمة صعبة، ورغم أن الأخذ بلغة الحوار يعد عملا شاقا إلا أنه **يساعد طرفى الحوار على الوصول إلى :**

- التعاون على ترتيب ما لدينا من أفكار، لنحظى بالفهم المشترك، وعندئذ يستطيع أطراف الحوار الانتقال من المنظور الضيق إلى الأشمل دون إخلال بالهدف المشترك.
- نتيجة تبنى رؤية الفهم المشترك يتأكد مبدأ التعاون المشترك الذى يزيد من التفاعل الخلاق، الذى يساعد على تلطيف والتقليل من اتجاهات الخصومة، وبذلك يقل التوتر بين الأطراف، وتبقى هناك فرصة للتعاون المثمر للوصول إلى أكبر قدر من الاتفاق(٤).
- كما أن الحوار مع المستشرقين وخاصة المعتدلين سيكون ذا أثر إيجابى على طرفى الحوار، حيث سيدعم مواقف هؤلاء المستشرقين ويقوى جانبهم واتجاهاتهم، بهدف أن

---

(١) **مجلة الاجتهاد**، عدد ٣١-٣٢، مقدمة العدد، ص ٥ .

(٢) محمد سيد محمد، **الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر**، القاهرة ، دار الفكر العربى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٣٤٩ .

(٣) عادل تيودورخورى، مرجع سابق، ص ٥٠ .

(٤) محمد إبراهيم الفيومى، **رسالة فى الحوار الفكرى**، مرجع سابق، ص ص ٢١، ٢٢ .

تصير هذه الاتجاهات المعتدلة فى يوم ما تيارا عاما فى الغرب يكون ذا أثر فعال فى تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام فى الغرب، ومن جانب آخر سيساعد على ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بالأفكار السلبية للاستشراق، للتخفيف من حدة اندفاعهم وتقليدهم لتلك الأفكار الخاطئة، وإعادتهم للمواقف الإسلامية الصحيحة[١].

- كما سيساعد الحوار على التغلب على أشكال سوء الفهم التى تراكمت عبر القرون، وبالتالى إزالة الأحكام المسبقة القائمة على عدم المعرفة والتسرع فى الحكم، وهذا سيؤدى إلى إنشاء جو يسوده التفاهم، والاستعداد للتقرب من المحاورين، بل قد تنشأ بينهم فى أحيان كثيرة صداقة ومودة، ومن شأن ذلك الحوار أن يساعد فى الوصول إلى استخدام منهاج جديد للتعاون بين طرفى الحوار، لتحقيق هدف مشترك، يتمثل فى إقامة العدل فى المجتمعات وفى علاقة البشر ببعضهم، مجتمع متضامن، منفتح للجميع[٢].

رؤية مستقبلية للحوار الفكرى :

تلك كانت النتائج المرجوة التى يحاول الطرفان الوصول إليها عن طريق الحوار، مما يؤدى إلى القدرة على التفاعل الثقافى والحضارى بطريقة سليمة وذات فائدة، ولكن ما الصورة المثلى لذلك الحوار سواء فى الوقت الحاضر أو فى المستقبل حتى يؤتى ثماره المرجوة؟ لن يكون هناك حوار مجدٍ مؤد لوظيفته إلا من خلال الالتزام بعدة شروط يجب توافرها فى هذا الحوار، وتتمثل تلك الشروط فى :

١- أن تكون هناك نزعة اعتقادية بوجود مساحات مشتركة من التفاهم بين مختلف الأطراف.

٢- أن يكون هناك قدر واف من المفاهيم المتفق حولها، لأن الحقيقة قسم مشترك بين الناس جميعا وليست ملكا لأحد.

٣- ألا يكون فى اللغة أسلوب خطابى يعتمد على الشحن الإنشائى والصيغ المحفوظة[٣].

٤- حتى يكون الحوار جديا فلابد "أن ينحصر الأمر بالشئون التى تعتبر معرفتها نسبية، وهى مجمل المعرفة البشرية، ما عدا المبنى منها على المطلقات الدينية أى الوحى

---

(١) محمود حمدى زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى**، مرجع سابق، ص ١٥٢ .

(٢) عادل تيودورخورى، مرجع سابق، ص ص ٤٩-٥٢ .

(٣) محمد إبراهيم الفيومى، **رسالة فى الحوار الفكرى**، مرجع سابق، ص ص ٧، ١٦ .

الإلهى، وهذا لا يعنى أن الحوار يبقى معزولا عن المسائل الدينية جميعها، فهناك كثير من المسائل التى يعالجها الدين، لكنها تعتبر مسائل دنيوية يصح فيها تعدد الآراء، وبالتالى يمكن تقديم تنازلات بشأنها"[١].

٥- التكافؤ : فهو شرط لكل حوار، أى التكافؤ فى الاعتراف المتبادل، والتكافؤ فى وسائل وأدوات الضغط والمساومة، والتكافؤ فى المصالح[٢].

٦- كما أن الشرط الأساسى لكل حوار هو "الاستعداد الدائم لدى الأطراف المتحاورة للتنازل عن جزء من مطالب كل منهما، كى تتمكن- فى النهاية -من الالتقاء حول تسوية من نوع ما، دون ذلك ينقلب الحوار إلى محاولة لاستيعاب الطرف أو الأطراف الأخرى عن طريق التبشير أو القسر"[٣].

٧- أن يكون المشتغلون بالحوار مستعدين لأن يتلقنوا الواحد من الآخر، يتقبلوا قيم الحقيقة والخير الكامنة فى دين الآخرين، ويحاولون إدراجها فى تراثهم الخاص، وهكذا يمضى المتحاورون معا فى التماس وجه الله الذى هو إله جميع البشر، وفى البحث عن الحقيقة الكاملة الحية[٤].

وهكذا إذا التزمنا بتلك الشروط، وتبنينا الحوار، فنستطيع التخلص من النوبات العصبية فى مواقفنا الفكرية، كما يمكننا الانطلاق من المحاور المنغلقة إلى الحوار الواسع، وهذه هى البداية الصحيحة لخروج العقل العربى الإسلامى من أزمته الحالية.

الخلاصة :

أنه لابد من الانفتاح والحوار مع الثقافات الأخرى، فالحوار هو الأسلوب الأمثل، وهذا يتطلب إيقاظ الوعى التربوى العام، لأننا ما زلنا مقلدين ونعيش فى ظل نظام "دنلوب" دون تطوير ،فى حين أن تلك المرحلة التى نعيشها - وطبقا للمتغيرات السائدة فى العالم كله - تتطلب تطويرا فى المؤسسات التربوية، ولطريقة إعداد المعلم، وللمناهج، وغيرها.

---

(١) الفضل شلق، مرجع سابق، ص ٨ .

(٢) رضوان السيد، مرجع سابق، ص ١٣ .

(٣) الفضل شلق، مرجع سابق، ص ٧ .

(٤) عادل تيودورخورى، مرجع سابق، ص ٤٥ .

فبالنسبة للمؤسسات التربوية : فإن الأمر يتطلب ضرورة أن يتخلص النظام التربوى من ربقة التبعية والتقليد الأعمى للغرب، وذلك عن طريق تحديثه تحديثا يعتمد - بشكل رئيس - على التراث[١]، وذلك عن طريق إنشاء مركز لتحقيق التراث، تكون مهمته وضع الأولويات، واختيار المجالات والكتب التى يمكن أن تسهم فى بناء التثقيف الدينى والدنيوى، والتى تكشف عن مناقب المسلمين وقدراتهم وابتكاراتهم فى المجالات المختلفة[٢]، والتعرف علىنقاط القوة والضعف فى ذلك التراث لتدعيمه وعصرنته وتجديده بأسلوب علمى دقيق[٣]، وبذلك يمكن للتراث العربى الإسلامى أن يلعب دورا فعالا، ويصبح طاقة إبداعية خلاقة فى حياتنا الحاضرة ومستقبل الأمة[٤]، ويمكن الاعتماد عليه فى إعطاء صورة - لدى الغرب - عن الواقع العربى الإسلامى، وهذا التجديد للتراث يتطلب فريق عمل للبحث عن مخطوطاتنا فى مختلف بلاد العالم ثم دراستها وتنقيتها كما يمكن لمؤسسات الدعوة الإسلامية أن تقوم بالعمل على التنسيق بين أصحاب الأقلام الإسلامية، وتنظيم لقاءات دورية بينهم، لمواجهة تيار الاستشراق الوافد، والرد عليه بأسلوب فكرى يعتمد على الحوار، وفى الوقت نفسه الوقوف على ما طرأ على الاستشراق من تطورات وتجديدات، حتى يمكن الوقوف أمام المستشرقين موقف الندية، وتقع هذه المهمة على عاتق : الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى، والأمانة العامة للمؤتمر الإسلامى بجدة، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر[٥]، مما يساعد على تهيئة مناخ فكرى يساعد على التقدم على كافة مستوياته، وتوازن دقيق بين المذاهب المادية والنواحى المعنوية، بإحياء مجموعة القيم الإسلامية المتوازنة والمتفتحة.

بالنسبة لوسائل الإعلام والتقنيات الحديثة: يمكن أن تسهم وسائل الإعلام - بأشكالها المتعددة، مسموعة ومقروءة ومرئية - بدور هام وإيجابى، يتمثل فى غربلة وتنقية المحيط العربى الإسلامى[٦]، وذلك عن طريق قيام وسائل الإعلام بالاهتمام بالثقافة الإسلامية وتنمية الوعى فى أذهان الناس، وتصحيح بعض الأفكار الخاطئة التى قد تكون

---

(١) على خليل مصطفى، **أصول الفكر التربوى الحديث**، مرجع سابق، ص ٤٩٦ .

(٢) محمود حمدى زقزوق، **قضايا فكرية واجتماعية**، مرجع سابق، ص ٢٢٩ .

(٣) حلمى سارى، مرجع سابق، ص ٢٠١ .

(٤) محمد عمارة، **نظرة جديدة إلى التراث**، مرجع سابق، ص ٥ .

(٥) عبد الصبور مرزوق، مرجع سابق، ص ١٣٠ .

(٦) أحمد الجاحد والسيد الشحات، مرجع سابق، ص ٢٠٣ .

ترسبت فى أذهان الناس، وذلك حتى يمكن لتلك الوسائل أن تواجه ما تبثه وسائل الإعلام الغربية، ويكون هناك لدى المستمعين والمشاهدين البديل الذى يغنيهم ويبعدهم عما قد تحتويه وسائل الغرب من ملوثات فكرية.

كما يمكن الاستفادة من التقنيات المعاصرة والتكنولوجيا الحديثة، وخاصة الحاجة إلى بنك معلومات، لجمع وتنسيق وتنظيم المعلومات عن العالم الإسلامى، توحد جهوده وخطاه، فتتجمع لدينا المعلومات الكافية عن مصادر التشكيك والعثرات والأخطاء[١]، وبهذا يمكن مواجهتها.

بالنسبة للمعلم : ضرورة العناية بإعداد المعلم - وخاصة معلم التربية الإسلامية واللغة العربية والتاريخ - إعدادا تربويا سليما[٢]، لأنه حجر الزاوية فى العملية التعليمية ومفتاح نجاحها، بحيث يشمل إعداده عدة أبعاد رئيسة، هى : بعد دينى أخلاقى، بعد ثقافى عام، بعد أكاديمى، بعد مهنى، وضرورة إدخال مادة الثقافة الإسلامية فى خطط إعدادهم[٣]، حتى يتم تخريج أجيال من الشباب مؤمنين بعروبتهم ودينهم، متمسكين بماضيهم وعدم إهمال حاضرهم، حرصا على كيانهم من الذوبان فى كيان الآخرين[٤]، ولكن يجب التركيز بصورة أكثر فى عملية الإعداد هذه، بحيث تتم بطريقة تعتمد على الحوار والمناقشة، حتى يتم ترسيخ أسلوب الحوار فى أذهان شبابنا، وبذلك يتم القضاء على الانفعال الفكرى وما يصاحبه من توترات فكرية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية أن تقتصر البعثات التعليمية - إلى خارج محيط المجتمع العربى والإسلامى - على المراحل العليا من التعليم والتخصصات النادرة غير المتوفرة فى العالم العربى والإسلامى، وخاصة مصر، نظرا للآثار السيئة التى تحدثها الإقامة فى بلاد غير إسلامية، على الشباب المنبعث فى سن المراهقة الفكرية، فهذا من أبرز العومل التى من خلالها كان للاستشراق نفوذه على الفكر التربوى فى مصر.

---

(١) حسان محمد حسان، مقترحات للرد على أخطاء المؤرخين، مرجع سابق، ص ١١١ .

(٢) محمود حمدى زقزوق، **قضايا فكرية واجتماعية**، مرجع سابق، ص ٢٢٨ .

(٣) على خليل مصطفى، **أصول الفكر التربوى الحديث**، مرجع سابق، ص ٤٩٨ .

(٤) سامى عزيز، مرجع سابق، ص ٢٩٠ .

بالنسبة لمناهج التعليم السائدة فى البلاد العربية والإسلامية : فيجب إعادة النظر فيها، لتخليصها من النظريات الغربية الوافدة المضادة للثقافة الإسلامية ولمصادر التربية الإسلامية[١]، وهذا معناه ضرورة صياغة النظام التعليمى صياغة جديدة تلائم عقيدة المجتمع الإسلامى ومقومات حياته وأهدافه[٢]، وذلك لتحصينها ضد رياح الخطر، وهذا يتطلب ضرورة اشتمال المناهج التى تدرس فى الجامعات مقررات عن الغزو الفكرى والاستشراق، والتبشير، وغيرها من التيارات الفلسفية، أو إنشاء معاهد أو أقسام خاصة بالاستشراق، حتى يتم دراسته دراسة علمية صحيحة، وحتى يتم تحصين الناشئة منذ طفولتهم ويستمر فى جميع المراحل التعليمية.

كذلك يتطلب الأمر أن يؤخذ بالتفسير الإسلامى للتاريخ، وترك ما عداه من تفسيرات، كالتفسير المادى والعنصرى[٣]، وقراءة التاريخ قراءة واعية، لتنقية الكتب التاريخية من التجاوزات والإسرائيليات التى أثارها بعض المستشرقين.

بالنسبة للغة التعليم : ضرورة الاهتمام باللغة العربية الفصحى والعمل على تعميمها وذلك عن طريق : تأسيس اتحاد عام للجمعيات التى تعمل على نشر اللغة العربية فى الأقطار العربية والإسلامية، ودعوة الدول العربية والإسلامية لتشريع قانون، للحفاظ على سلامة العربية الفصحى وعلى حرفها العربى[٤]، وبالتالى تحجيم العامية، وبسط سيطرة الفصحى وإطلاق المجال لها لتكون لغة حياة وتواصل، بدلا من كونها مجرد لغة تراث وأدب فقط، وقد أوصت الدراسات الحديثة بضرورة تأخير دراسة اللغة الأجنبية فى مرحلة الطفولة المبكرة، والتركيز بدلا من ذلك - فى السنين الأولى للتلميذ - على اللغة الأم وهى العربية الفصحى، حتى يتم اكتسابها بطريقة سليمة[٥].

---

(١) أنور الجندى، **حتى لا تضيع الهوية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٩ .

(٢) أبو الحسن الندوى، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**، مرجع سابق، ص ١٧٣ .

(٣) عبد العليم عبد الرحمن خضر، **المسلمون وكتابة التاريخ**، مرجع سابق، ص ٢٧٦ .

(٤) محمد بن خالد الفاضل، **تقرير عن مؤتمر اللغة العربية العالمى الأول**، المنعقد فى الفترة من ٢٩-٧، ١٤٠٨هـ/١٧-٣-١٩٨٨م إلى ١-٨-١٤٠٨هـ/١٩-٣-١٩٨٨م، فى : مجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد الأول، السعودية رجب ١٤٠٩هـ/ فبراير ١٩٨٩م، ص ٥٠٩ .

(٥) عبد الله حامد سلحب، مرجع سابق، ص ١٩٠ .

وبعـــــد.....

فقد كانت هذه هى بعض التصورات التى قد توضح كيفية الرد على الاستشراق أو كيفية التعامل مع فكر الآخرين، وليس هذا هو كل ما قيل من اقترحات، بل هناك العديد من الأفكار التى تدور حول ذلك، ولكن تكمن فعالية تلك التصورات فى توفر العزيمة والإرادة للتنفيذ لدى الجهات الإسلامية المهتمة بالموضوع، وتوفر الرغبة فى العمل لدى المفكرين، بل لابد من وجود إدراك واع لتلك المعضلة الفكرية بأبعادها المختلفة، لأن هذا الإدراك هو نقطة البداية الصحيحة للتعامل مع التيارات الغربية الواضحة وفى مقدمتها الاستشراق.